مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّانِيَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

www.menhag-un.com

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الرُّكْنُ السَّادِسُ: الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ، قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] .....

---

* **قُلْتُ:** الْقَدَرُ فِي الْأَصْلِ: مَصْدَرٌ تَقُولُ: (قَدَرْتُ الشَّيْءَ) بِفَتْحِ الدَّالِ وَتَخْفِيفِهَا، وَأَقدِرُهُ بِالْكَسْرِ: إِذَا أَحَطْتَ بِمِقْدَارِهِ(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْقَدَرُ بِفَتْحِ الدَّالِ: «تَقْدِيرُ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْكَائِنَاتِ، حَسْبَمَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ، وَاقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ».

* **قُلْتُ:** فَهُوَ تَقْدِيرُ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْأَشْيَاءِ قَبْلَ حُدُوثِهَا تَقْدِيرًا يُوَافِقُ عِلْمَهُ، وَكِتَابَتَهُ كَمًّا، وَكَيْفًا، وَزَمَانًا، وَمَكَانًا.

---

(١) «فَتْحُ الْبَارِي» (١/ ١١٨)، «لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ» لِلسَّفَّارِينِيِّ (١/ ٣٤٥، مُؤَسَّسَةُ الْخَافِقَيْنِ)، «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» لِلْهَرَّاسِ (١/ ٦٥).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ بِكُلِّ شَيْءٍ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، أَزَلًا وَأَبَدًا، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِهِ أَوْ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ.

* **قُلْتُ:** فَالْمَرْتَبَةُ الْأُولَىٰ: أَنْ تُؤْمِنَ بِعِلْمِ اللهِ الْمُحِيطِ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَخْفَىٰ عَنْهُ شَيْءٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ كَتَبَ ذَلِكَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

* **قُلْتُ:** يَعْنِي: كَتَبَ مَا عَلِمَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِي هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»(١)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**».

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، سَوَاءٌ كَانَتْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِهِ أَمْ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْمَخْلُوقِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِهِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الْقَدَرِ، ٢: ٧، رَقْمُ ٢٦٥٣).

[القصص: ٦٨]، وَقَالَ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِفِعْلِ الْمَخْلُوقِينَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ مَخْلُوقَةٌ لِلَّهِ تَعَالَىٰ بِذَوَاتِهَا، وَصِفَاتِهَا، وَحَرَكَاتِهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وَقَالَ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وَقَالَ عَنْ نَبِيِّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

* **قُلْتُ**: فَهَذِهِ هِيَ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي لَا يَصِحُّ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ إِلَّا إِذَا آمَنَ بِهَا الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ، وَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الْأَرْبَعَةُ لِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ مَجْمُوعَةٌ فِي:

عِلْمٌ كِتَابَةُ مَوْلَانَا مَشِيئَتُهُ ... وَخَلْقُهُ، وَهْوَ إِيجَادٌ، وَتَكْوِينُ[1]

إِذَا آمَنْتَ بِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ إِيمَانًا صَحِيحًا كُنْتَ مُؤْمِنًا بِالْقَدَرِ إِيمَانًا صَحِيحًا، وَإِذَا اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَصِحَّ الْإِيمَانُ بِهَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَصِحَّ الْإِتْيَانُ بِهَذَا الرُّكْنِ الْعَظِيمِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

(١) «الْقَوْلُ الْمُفِيدُ شَرْحُ كِتَابِ التَّوْحِيدِ - مَجْمُوعُ فَتَاوَىٰ وَرَسَائِلِ الْعُثَيْمِينِ» (١٠/ ٩٩٢).

www.menhag-un.com

هَلْ لِلْعَبْدِ قُدْرَةٌ وَمَشِيئَةٌ فِي أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ؟

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا لَا يُنَافِي أَنْ يَكُونَ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةٌ فِي أَفْعَالِهِ الِاخْتِيَارِيَّةِ وَقُدْرَةٌ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ وَالْوَاقِعَ دَالَّانِ عَلَىٰ إِثْبَاتِ ذَلِكَ لَهُ.

* **قُلْتُ:** وَهَذَا مُهِمٌّ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَتَصَوَّرُونَ مَثَلًا أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمَّا عَلِمَ مَا سَيَكُونُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ فَكَتَبَ أَنَّ ذَلِكَ يَعْنِي الْجَبْرَ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُجْبِرُ الْعِبَادَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مِنْهُمْ مَا يَأْتِي حَتَّىٰ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالْعِصْيَانِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ مَشِيئَةٌ عَلَىٰ فِعْلِ شَيْءٍ.

هَذَا خَطَأٌ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ جَعَلَتْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَمَّا فَهِمُوهَا عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْخَاطِئِ الْمُخْطِئِ يَتَّهِمُونَ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ لَمَّا رَأَوُا الْمُسْلِمِينَ فِي جُمْلَتِهِمْ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ عَلَىٰ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ لَمَّا رَأَوُا جَمَاهِيرَ الْمُسْلِمِينَ يَتَوَاكَلُونَ مُعْتَمِدِينَ عَلَىٰ مَا يَظُنُّونَهُ إِيمَانًا بِالْقَدَرِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

فَيَقُولُونَ إِنَّ هَذَا الَّذِي يَحْدُثُ فِي كَوْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا قِبَلَ لَنَا عَلَىٰ تَغْيِيرِهِ، وَلَا حَاجَةَ لَنَا إِلَىٰ تَغْيِيرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ يَقَعُ بِقَدَرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثُمَّ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُسَلِّمَ بِهِ، وَأَنْ نَخْضَعَ لَهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ تَمَامِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَهَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ لَا يَعْنِي سَلْبَ الْمَشِيئَةِ عَنِ الْعَبْدِ، بَلْ أَثْبَتَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، وَأَثْبَتَ لِلْعَبْدِ قُدْرَةً كَمَا سَيَأْتِي ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَفِي نُصُوصِهِ الشَّرِيفَةِ.

وَشَيْءٌ آخَرُ: أَنَّ الَّذِي يَظُنُّ ذَلِكَ يَكُونُ جَبْرِيًّا مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ أَوْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ فَيَقُولُ بِمَذْهَبِ الْجَبْرِ، وَيَأْخُذُ بِتِلْكَ النِّحْلَةِ الْفَاسِدَةِ مِنْ نِحَلِ أَهْلِ الِانْحِرَافِ وَالزَّيْغِ عَنْ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعَمَّا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَيَحْسَبُ أَنَّهُ يُحْسِنُ صُنْعًا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَتَوَاكَلُ، وَيَتْرُكُ الْأَخْذَ بِالْأَسْبَابِ، وَيَنْفِي الْمَشِيئَةَ عَنِ الْعِبَادِ، ثُمَّ يَصِيرُ وَاقِعًا تَحْتَ نِيرِ الذُّلِّ، وَالطُّغْيَانِ، وَالْفَسَادِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَاوِلَ مُحَاوَلَةً مِنْ أَجْلِ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ الشَّرْعِيَّةِ لِتَغَيُّرِ مَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا هُوَ وَاقِعٌ مُعْتَمِدًا فِيمَا يَأْتِي وَفِيمَا يَدَعُ عَلَىٰ هَذَا الْوَهْمِ الْبَاطِلِ الَّذِي يَظُنُّهُ اعْتِقَادًا صَحِيحًا، وَإِيمَانًا شَرِيفًا.

وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا أَثْبَتَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، وَأَثْبَتَ لِلْعَبْدِ اخْتِيَارًا، وَهَذَا مِمَّا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَرَحْمَتُهُ، وَعَدْلُهُ، وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مُجْبَرًا عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَا يَأْتِي مِنْ أُمُورِ الْخَيْرِ فَلِمَاذَا يُثَابُ، وَهُوَ مَجْبُورٌ عَلَىٰ ذَلِكَ الْفِعْلِ، وَلَمْ يَفْعَلْهُ بِمَشِيئَتِهِ، وَلَا بِاخْتِيَارِهِ.

وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ مُجْبَرًا عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ أُمُورِ الْبَاطِلِ وَالْكُفْرِ وَالضَّلَالِ فَلِمَاذَا يُعَاقَبُ عِقَابَهُ حِينَئِذٍ، وَهُوَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ أَنْ يَأْتِيَ مَا يَأْتِيهِ مِنْ أُمُورِ الْكُفْرِ، وَالْفُسُوقِ، وَالْعِصْيَانِ، وَالضَّلَالِ؟

عِقَابُهُ يَكُونُ ظُلْمًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مُجْبَرٌ عَلَيْهِ مَسُوقٌ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ رَضِيَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِخَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَجَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَدَّاهُ كَمَا حَمَّلَهُ إِيَّاهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ فَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ بِالْبَلَاغِ الْعِلْمِيِّ، وَبِالْبَلَاغِ الْفِعْلِيِّ الْعَمَلِيِّ فَكَانَ ﷺ يَأْمُرُ بِالْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ، وَيَأْخُذُ بِهَا ﷺ فَيَتَوَكَّلُ عَلَى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَقَّ التَّوَكُّلِ، وَيَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ كَمَا عَلَّمَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَا يُفَرِّطُ فِي الْأَسْبَابِ ﷺ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: أَمَّا الشَّرْعُ: فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الْمَشِيئَةِ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٣٩].

* **قُلْتُ:** فَأَثْبَتَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْعَبْدِ اتِّخَاذًا بِمَشِيئَةٍ: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ﴾.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

* **قُلْتُ:** فَأَثْبَتَ لِلْعَبْدِ إِتْيَانًا بِمَشِيئَةٍ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ فِي الْقُدْرَةِ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟﴾ [التغابن: ١٦].

* **قُلْتُ:** فَأَثْبَتَ لَهُ اسْتِطَاعَةً، وَسَمْعًا، وَطَاعَةً.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* **قُلْتُ:** فَأَثْبَتَ اللهُ لِلْعَبْدِ كَسْبًا، وَاكْتِسَابًا، وَكُلُّ ذَلِكَ وَاقِعٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَأَمَّا الْوَاقِعُ: فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ مَشِيئَةً وَقُدْرَةً بِهِمَا يَفْعَلُ وَبِهِمَا يَتْرُكُ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ مَا يَقَعُ بِإِرَادَتِهِ كَالْمَشْيِ، وَمَا يَقَعُ بِغَيْرِ إِرَادَتِهِ كَالِارْتِعَاشِ.

* **قُلْتُ:** كُلُّ إِنْسَانٍ آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَقْلًا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَا هُوَ مُجْبَرٌ عَلَى فِعْلِهِ، وَبَيْنَ مَا يَفْعَلُهُ اخْتِيَارًا لَا اضْطِرَارًا، كُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ تَبَوُّلِهِ الْإِرَادِيِّ، وَتَبَوُّلِهِ اللَّاإِرَادِيِّ، كُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مَثَلًا، كُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ نُزُولِهِ مُخْتَارًا عَلَى السُّلَّمِ وَنُزُولِهِ وَإِنْزَالِهِ اضْطِرَارًا عَلَى أُمِّ رَأْسِهِ مِنْ فَوْقِ سَطْحِ بَيْتِهِ مَثَلًا، يُفَرِّقُ بَيْنَ هَذَا وهَذَا.

وَالَّذِي لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ هَذَا وهَذَا مَسْلُوبُ الْعَقْلِ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَاشِيًا بِإِرَادَتِهِ، وَأَنْ يَكُونَ مُرْتَعِشًا فتَتَحَرَّكُ أَعْضَاؤُهُ بِرِعْدَةٍ تُفْرَضُ عَلَيْهِ فَرْضًا بِقَدَرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا دَفْعًا، كُلُّ إِنْسَانٍ يُمَيِّزُ بَيْنَ مَا هُوَ مَجْبُورٌ عَلَيْهِ، وَبَيْنَ مَا هُوَ مُخْتَارٌ فِيهِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَكِنَّ مَشِيئَةَ الْعَبْدِ وَقُدْرَتَهُ وَاقِعَتَانِ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨- ٢٩]، وَلِأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ مِلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ شَيْءٌ بِدُونِ عِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ.

* **قُلْتُ:** وَالتَّفْرِقَةُ بَيْنَ الْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ الْقَدَرِيَّةِ وَالْإِرَادَةِ الدِّينِيَّةِ الشَّرْعِيَّةِ هِيَ مِفْتَاحُ حَلِّ هَذَا الْإِشْكَالِ الَّذِي يَتَوَرَّطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الِاعْتِقَادِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ فِي أَمَسِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَمَسَّ الْإِنْسَانَ فِي إِيمَانِهِ، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ؛ لِأَنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ جِدًّا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمِنَ الْأَقْوَالِ، وَمِنْ حَرَكَةِ الْحَيَاةِ، بَلْ إِنَّ حَرَكَةَ الْحَيَاةِ إِنَّمَا تَكُونُ نَابِعَةً فِي جُمْلَتِهَا مِنْ تَصَوُّرِ الْعَبْدِ الصَّحِيحِ، وَعَدَمِ تَصَوُّرِهِ لِمَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يُؤْمِنُ -مَثَلًا- بِأَنَّهُ مَجْبُورٌ عَلَىٰ كُلِّ فِعْلٍ يَفْعَلُهُ، وَأَنَّهُ مَسْلُوبُ الْإِرَادَةِ لَيْسَ لَهُ اخْتِيَارٌ، هَذَا لَا بُدَّ أَنْ تَتَلَوَّنَ حَيَاتُهُ فِي جُمْلَتِهَا بِهَذَا الَّذِي يَعْتَقِدُهُ.

رَجُلٌ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ ذُلٌّ أَوْ وَقَعَ بِهِ ظُلْمٌ أَوْ حَدَثَ لَهُ أَمْرٌ أَوْ آتَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قُدْرَةً، وآتَاهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ قُوَّةً فَبَدَّدَ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَغِلَّهُ اسْتِغْلَالًا صَحِيحًا، وَلَمْ يُفِدْ مِنْهُ إِفَادَةً سَلِيمَةً سَوِيَّةً.

إِنَّ هَذَا الَّذِي يَفْعَلُ هَذَا، وَيُفَرِّطُ عِنْدَمَا يَتَّكِئُ عَلَىٰ مَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ إِيمَانًا مَغْلُوطًا، وَأَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ مُجْبَرٌ عَلَىٰ فِعْلِ مَا يَفْعَلُ، هَذَا لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ سُلُوكُهُ فِي الْحَيَاةِ نَابِعًا مِنْ هَذَا الْإِيمَانِ أَوْ مِنْ هَذَا التَّصَوُّرِ الْمَغْلُوطِ لِلْإِيمَانِ الصَّحِيحِ بِالْقَدَرِ.

هَذَا أَمْرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ جِدًّا فَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ الْفَارِقَ بَيْنَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ بِالْقَدَرِ وَالْإِيمَانِ الْخَاطِئِ لَا الْمُخْطِئِ بِالْقَدَرِ بَانَتْ لَهُ الْأُمُورُ عَلَىٰ حَقِيقَتِهَا، بَلْ إِنَّ الْحَيَاةَ يُمْكِنُ أَنْ تَتَغَيَّرَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا عِنْدَ تَصْحِيحِ الِاعْتِقَادِ بِالْقَدَرِ، كَيْفَ؟

إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، وَأَنَّ عِلْمَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِلْمٌ شَامِلٌ كَامِلٌ مُحِيطٌ، وَأَمَّا عِلْمُ الْبَشَرِ فَعِلْمٌ مُقَيَّدٌ بِحُدُودِ الزَّمَانِ، وَحُدُودِ الْمَكَانِ، وَعِلْمُ الْبَشَرِ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ مَلْحُوقٌ بِالنِّسْيَانِ، وَأَمَّا عِلْمُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ آفَاتٌ تَلْحَقُ بِعِلْمِ الْبَشَرِ، وَأَمَّا عِلْمُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَإِنَّهُ عِلْمٌ كَامِلٌ شَامِلٌ مُحِيطٌ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، وَمَا سَيَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ كَمَا أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْخَضِرَ بِقَلْعِ رَأْسِ الْغُلَامِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَاشَ -وَلَمْ يَعِشْ- كَانَ سَيُرْهِقُ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا، وَكَانَا صَالِحَيْنِ، فَهُوَ لَمْ يَعِشْ، وَلَكِنَّهُ لَوْ كَانَ عَائِشًا بَعْدُ لَأَتَىٰ مِنْه هَذَا.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، وَلَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ هَذَا لَوْ كَانَ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا.

فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ ﷻ، لَيْسَ عِنْدَهُ زَمَانٌ، هَذَا الزَّمَانُ عِنْدَنَا نَحْنُ الْمَاضِي، وَالْحَاضِرُ، وَالْمُسْتَقْبَلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَنَا نَحْنُ، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ مَا هُوَ آتٍ كَمَا يَعْلَمُ مَا قَدْ كَانَ، بَلْ يَعْلَمُ مَا هُوَ آتٍ، وَمَا قَدْ كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ كَمَا يَعْلَمُ مَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ، فَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فَكَتَبَ هَذَا.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَعْلَمُ عِنْدَمَا يُعْطِي الْعَبْدَ الِاخْتِيَارَ مَا سَيَخْتَارُ فَيَكْتُبُ اخْتِيَارَهُ فِيمَا جَعَلَهُ مُخْتَارًا فِيهِ فَيَكْتُبُ اخْتِيَارَ الْعَبْدِ فِيمَا جَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

مُخْتَارًا فِيهِ فَيَظُنُّ النَّاسُ التَّلَازُمَ بَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالْجَبْرِ، وَأَنَّهُ مَا دَامَ كَتَبَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ الْفِعْلُ كَمَا كَتَبَ، نَعَمْ لَا بُدَّ؛ لِأَنَّ عِلْمَهُ لَا يَتَخَلَّفُ سُبْحَانَهُ، وَلَكِنْ هُوَ كَتَبَ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ عِلْمِهِ.

الْعِلْمُ صِفَةُ انْكِشَافٍ بِالنِّسْبَةِ لِلرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، يَعْلَمُ ﷻ مَا سَيَكُونُ فَكَتَبَ مَا سَيَكُونُ، وَأَعْطَاكَ الِاخْتِيَارَ فَيَعْلَمُ اخْتِيَارَكَ فَكَتَبَهُ، فَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا؟

فَإِذَا آمَنَ الْإِنْسَانُ بِالْعِلْمِ، وَآمَنَ بِالْكِتَابَةِ، وَآمَنَ بِالْمَشِيئَةِ، وَفِيهَا الْإِيمَانُ بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ، وَالْإِيمَانُ بِالْإِرَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ فَيَتَأَمَّلُ الْإِنْسَانُ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ هَذَا الْكَوْنُ يَحْدُثُ فِيهِ أُمُورٌ لَا يَرْضَاهَا الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا يَحْدُثُ فِيهِ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ وَالْفَوَاحِشُ وَالظُّلْمُ وَقَتْلُ الْأَنْفُسِ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَرْضَاهُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَمِمَّا حَرَّمَهُ، وَمِمَّا كَرِهَهُ.

فَيَقُولُ الْإِنْسَانُ هَذَا يَحْدُثُ فِي كَوْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَتَأْتِي الْأَزْمَةُ الَّتِي تُحِيطُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَلْقِ حَتَّىٰ يَصِلُوا فِي الْمُنْتَهَىٰ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْجَبْرِ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا يَظُنُّ الْوَاحِدُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ كَمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُؤْمِنٌ بِالْجَبْرِ.

يَقُولُ إِذَا كَانَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ شَاءَ أَنْ يَكْفُرَ الْكَافِرُ فَهَذِهِ الْمَشِيئَةُ يَنْبَغِي أَنْ تُحْتَرَمَ، وَإِذَنْ مَا ذَنْبُ الْكَافِرِ؟ هَذَا إِنَّما وَقَعَ بِمَشِيئَةِ اللهِ.

نَعَمْ، لَا يَقَعُ فِي مُلْكِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا مَا يُرِيدُ، أَيُعْصَىٰ رَبُّنَا قَهْرًا؟!

www.menhaj-un.com

أَيُعْصَىٰ رَبُّنَا قهرًا؟!

لِأَنَّهُ لَمَّا سُئِلَ فَقِيلَ لَهُ: أَيُرِيدُ رَبُّنَا أَنْ يُعْصَىٰ؟

قَالَ: وَيْحَكَ أَوَيُعْصَىٰ رَبُّنَا قَهْرًا؟

يَعْنِي لَمَّا قَالَ هُنَالِكَ إِرَادَةٌ يَعْنِي إِذْنًا وَسَمَاحًا بِأَنْ يَقَعَ فِي كَوْنِ اللهِ مَا لَا يَرْضَاهُ، فَيَقَعُ الْكُفْرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ هَذَا قَهْرًا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ سُبْحَانَهُ، فَلَا يَقَعُ ذَلِكَ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ يَعْنِي بِأَنْ يَشَاءَ أَنْ يَقَعَهَذَا، وَهُوَ يُبْغِضُهُ، وَلَكِنْ يَسْمَحُ بِوُقُوعِهِ فَيَقَعُ فِي مُلْكِهِ مَعَ بُغْضِهِ لَهُ، هَذِه إِرَادَةٌ كَوْنِيَّةٌ قَدَرِيَّةٌ.

الْإِرَادَةُ الْكَوْنِيَّةُ الْقَدَرِيَّةُ لَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّهَا يُمْكِنُ أَنْ تَقَعَ فِيمَا يُبْغِضُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَيَكْرَهُهُ حَتَّىٰ الْكُفْرُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقَعُ كُفْرٌ فِي مُلْكِ اللهِتَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا بِإِذْنِهِتَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهُ أَعْطَىٰ ﷻ حُرِّيَّةَ الِاخْتِيَارِ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

فَإِذَا اخْتَارَ الْعَبْدُ أَنْ يَكْفُرَ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يُرِيدُ أَيْ مَا يُرِيدُهُ الْعَبْدُ مَعَ بُغْضِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْعَبْدُ فَالَّذِي لَا يُصَلِّي لَا يُصَلِّي بِالْإِرَادَةِ الْكَوْنِيَّةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرِيدَ هَذَا الْأَمْرَ، وَهُوَ عَدَمُ الصَّلَاةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ، وَلَكِنْ يُبْغِضُهُ وَلَا يُحِبُّهُ.

وَأَمَّا الْإِرَادَةُ الدِّينِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ فَإِنَّ اللهَتَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَمَرَ بِعِبَادَتِهِ، وَأَمَرَ بِالْخَيْرِ، وَنَهَىٰ عَنِ الشَّرِّ فَإِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ مُرَادَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الشَّرْعِيَّ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَكُونُ قَدْ تَعَلَّقَ بِالْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ الْإِرَادَةَ الشَّرْعِيَّةَ تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ، فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا يُحِبُّ، وَلَا يَنْهَىٰ إِلَّا عَمَّا يَكْرَهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ.

فَتُؤْمِنُ أَنَّ لَكَ مَشِيئَةً، وَأَنَّ لَكَ اخْتِيَارًا، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَشِيئَتُهُ فَوْقَ مَشِيئَتِكَ، وَأَنَّكَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَهُ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مِمَّا يُغْضِبُهُ فَيَأْذَنُ بِوُقُوعِهِ فِي مُلْكِهِ، وَهُوَ لَهُ مُبْغِضٌ لَا يُحِبُّهُ، وَلَا يَرْضَاهُ، وَلَكِنْ يَأْذَنُ بِوُقُوعِ ذَلِكَ فِي مُلْكِهِ.

كُنَّا قَدْ ضَرَبْنَا الْمَثَلَ قَدِيمًا؛ لِتَقْرِيبِ هَذَا الْأَمْرِ، وَللهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ، فَقُلْنَا: لَوْ أَنَّ لَكَ ابْنًا أَوْ أَخًا صَغِيرًا فَأَعْطَيْتَهُ فِي يَوْمِ الْعِيدِ مَالًا، وَقُلْتَ لَهُ يَا وَلَدِي خُذْ هَذَا الْمَالَ، وَأَنْفِقْهُ عَلَىٰ نَفْسِكَ فِيمَا يُرْضِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَا يُغْضِبُهُ، وَحَذَارِ أَنْ تَأْتِيَ بِشَيْءٍ مِمَّا أَكْرَهُهُ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا تَبْدِيدٌ لِلْمَالِ أَوْ إِسْرَافٌ فِي إِنْفَاقِهِ أَوْ إِسَاءَةٌ فِي اسْتِعْمَالِهِ أَوْ ضَرَرٌ يَلْحَقُ بِكَ أَوْ بِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ فَحَذَّرْتَهُ، وَأَعْطَيْتَهُ الْمَالَ.

فَقَالَ: لَا، لَا بُدَّ أَنْ أَشْتَرِي كَذَا مِمَّا يَضُرُّ.

فَتَقُولُ لَهُ: وَلَكِنْ يَعْنِي هَذَا كَمَا قُلْتُ لَكَ يَضُرُّ، وَهَذَا لَا يُرْضِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَوَّلًا وَآخِرًا فَلَا تَفْعَلْ هَذَا.

يَقُولُ: لَا، لَا بُدَّ أَنْ أَفْعَلَ هَذَا.

فَتَقُولُ إِذَنِ افْعَلْ مَا أَحْبَبْتَ، وَلَكِنِّي غَيْرُ رَاضٍ عَنْ فِعْلِكَ. إِذَنِ أَنْتَ قَدْ أَذِنْتَ أَنْ يَقَعَ فِيمَا تَحْتَ يَدِكَ مَا لَا تُحِبُّ.

تَقُولُ لَهُ: نَعَمِ افْعَلْ مَا تُحِبُّ، وَلَكِنْ إِنْ وَقَعَ مَا يَضُرُّ فَسَوْفَ أُعَاقِبُكَ.

www.menhag-un.com

آتَاكَ اللهُ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ أَنْ تَسْلُبَهُ مَا أَعْطَيْتَهُ، وَأَلَّا تُمَكِّنَهُ مِنْهُ، وَأَنْ تَحْبِسَهُ يَوْمَ الْعِيدِ فَلَا يَرَىٰ أَحَدًا، وَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ آتَاكَ اللهُ الْقُدْرَةَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَكِنَّكَ أَذِنْتَ لَهُ بِالتَّصَرُّفِ فِيمَا تَكْرَهُ لِحِكْمَةٍ تَرَاهَا أَنْتَ.

للهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ، اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ لَكَ مَشِيئَةً، وَآتَاكَ قُدْرَةً وَمَشِيئَتُهُ فَوْقَ مَشِيئَتِكَ، وَلا يَقَعُ فِي مُلْكِ اللهِ إِلَّا مَا يُرِيدُهُ.

وَالْإِرَادَةُ إِرَادَتَانِ:

إِرَادَةٌ كَوْنِيَّةٌ قَدَرِيَّةٌ، وَلَا تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ، وَإِنَّمَا تَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَإِرَادَةٌ دِينِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَهَذِهِ تَتَعَلَّقُ بِالْمَحَبَّةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُرِيدُ شَرْعًا، وَدِينًا إِلَّا مَا يُحِبُّهُ، وَلَمْ يَأْمُرْ إِلَّا بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ يَنْهَ إِلَّا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَمْ يَحُضَّنَا إِلَّا عَلَىٰ الْخَيْرِ، وَلَمْ يَنْهَنَا إِلَّا عَنِ الشَّرِّ ﷻ.

منهاج النبوة
www.menhag-un.com

الرَّدُّ عَلَى مَنِ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ فِي تَرْكِ الْوَاجِبِ أَوْ فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ مِنْ وُجُوهٍ سَبْعَةٍ

قَالَ الشَّيْخُ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا لَا يَمْنَحُ الْعَبْدَ حُجَّةً عَلَىٰ مَا تَرَكَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ أَوْ فَعَلَ مِنَ الْمَعَاصِي، وَعَلَىٰ هَذَا فَاحْتِجَاجُهُ بِهِ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ حُجَّةٌ بِالْقَدَرِ مَا أَذَاقَهُمُ اللهُ بَأْسَهُ.

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٥]، وَلَوْ كَانَ الْقَدَرُ حُجَّةً لِلْمُخَالِفِينَ لَمْ تَنْتَفِ بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، لِأَنَّ الْمُخَالَفَةَ بَعْدَ إِرْسَالِهِمْ وَاقِعَةٌ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

الثَّالِثُ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، أَوْ**

مِنَ الْجَنَّةِ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلَا نَتَّكِلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**فأما من أعطىٰ واتقىٰ**﴾ الْآيَةَ(١).

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ(٢): «**فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَمَلِ وَنَهَىٰ عَنْ الِاتِّكَالِ عَلَىٰ الْقَدَرِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ الْعَبْدَ وَنَهَاهُ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُ إِلَّا مَا يَسْتَطِيعُ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]، وَقَالَ: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وَلَوْ كَانَ الْعَبْدُ مُجْبَرًا عَلَىٰ الْفِعْلِ لَكَانَ مُكَلَّفًا بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ الْخَلَاصَ مِنْهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ وَلِذَلِكَ إِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ الْمَعْصِيَةُ بِجَهْلٍ، أَوْ نِسْيَانٍ، أَوْ إِكْرَاهٍ، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مَعْذُورٌ.

الْخَامِسُ: أَنَّ قَدَرَ اللهِ تَعَالَىٰ سِرٌّ مَكْتُومٌ لَا يُعْلَمُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ، وَإِرَادَةُ الْعَبْدِ لِمَا يَفْعَلُهُ سَابِقَةٌ عَلَىٰ فِعْلِهِ فَتَكُونُ إِرَادَتُهُ الْفِعْلَ غَيْرَ مَبْنِيَّةٍ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْهُ بِقَدَرِ اللهِ، وَحِينَئِذٍ تَنْتَفِي حُجَّتُهُ بِالْقَدَرِ؛ إِذْ لَا حُجَّةَ لِلْمَرْءِ فِيمَا لَا يَعْلَمُهُ.

* **قُلْتُ**: يَعْنِي عِنْدَمَا يَقَعُ فِي الْفَاحِشَةِ، وَيَقُولُ: كَانَتْ قَدَرًا قَدَّرَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيَّ أَزَلًا، وَكَتَبَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَأَيْنَ مِنْهَا الْمَهْرَبُ، وَأَيْنَ يَمْضِي هَارِبٌ مِنْ دَمِهِ؟

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الْقَدَرِ، ٤: ٥، رَقْمُ ٦٦٠٥) وَفِي مَوَاضِعَ، وَمُسْلِمٌ فِي (الْقَدَرِ، ١: ٩، رَقْمُ ٢٦٤٧).

(٢) فِي (الْقَدَرِ، ١: ١١، رَقْمُ ٢٦٤٧).

www.menhag-un.com

فَيُقَالُ لَهُ: كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّهَا قَدَرٌ؟

يَقُولُ: بَعْدَ أَنْ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ.

إِذَنْ أَنْتَ لَا تَعْلَمُ الْقَدَرَ إِلَّا بَعْدَ وُقُوعِ الْمَقْدُورِ فَقَبْلَ أَنْ تَفْعَلَ مَا فَعَلْتَ مِنَ الْمَعْصِيَةِ مَنِ الَّذِي أَدْرَاكَ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْكَ؟ أَنْتَ تَحْتَجُّ الْآنَ بِمَا لَمْ تَكُنْ بِهِ عَالِمًا، فَهَذَا تَنَاقُضٌ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: السَّادِسُ: أَنَّنَا نَرَىٰ الْإِنْسَانَ يَحْرِصُ عَلَىٰ مَا يُلَائِمُهُ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ وَلَا يَعْدِلَ عَنْهُ إِلَىٰ مَا لَا يُلَائِمُهُ ثُمَّ يَحْتَجُّ عَلَىٰ عُدُولِهِ بِالْقَدَرِ، فَلِمَاذَا يَعْدِلُ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي أُمُورِ دِينِهِ إِلَىٰ مَا يَضُرُّهُ ثُمَّ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟! أَفَلَيْسَ شَأْنُ الْأَمْرَيْنِ وَاحِدًا؟!

وَإِلَيْكَ مِثَالًا يُوَضِّحُ ذَلِكَ:

لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْإِنْسَانِ طَرِيقَانِ:

أَحَدُهُمَا: يَنْتَهِي بِهِ إِلَىٰ بَلَدٍ كُلُّهَا فَوْضَىٰ، وَقَتْلٌ وَنَهْبٌ، وَانْتِهَاكٌ لِلْأَعْرَاضِ، وَخَوْفٌ، وَجُوعٌ.

وَالثَّانِي: يَنْتَهِي بِهِ إِلَىٰ بَلَدٍ كُلُّهَا نِظَامٌ، وَأَمْنٌ مُسْتَتِبٌّ، وَعَيْشٌ رَغِيدٌ، وَاحْتِرَامٌ لِلنُّفُوسِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ.

فَأَيَّ الطَّرِيقَيْنِ يَسْلُكُ؟

www.menhag-un.com

إِنَّهُ سَيَسْلُكُ الطَّرِيقَ الثَّانِيَ الَّذِي يَنْتَهِي بِهِ إِلَىٰ بَلَدِ النِّظَامِ وَالْأَمْنِ، وَلَا يُمْكِنُ لِأَيِّ عَاقِلٍ أَبَدًا أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَ بَلَدِ الْفَوْضَىٰ، وَالْخَوْفِ، وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ، فَلِمَاذَا يَسْلُكُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ طَرِيقَ النَّارِ دُونَ الْجَنَّةِ وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟!

مِثَالٌ آخَرُ:

نَرَىٰ الْمَرِيضَ يُؤْمَرُ بِالدَّوَاءِ فَيَشْرَبُهُ وَنَفْسُهُ لَا تَشْتَهِيهِ، وَيُنْهَىٰ عَنِ الطَّعَامِ الَّذِي يَضُرُّهُ فَيَتْرُكُهُ وَنَفْسُهُ تَشْتَهِيهِ؛ كُلُّ ذَلِكَ طَلَبًا لِلشِّفَاءِ وَالسَّلَامَةِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنْ شُرْبِ الدَّوَاءِ أَوْ يَأْكُلَ الطَّعَامَ الَّذِي يَضُرُّهُ وَيَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ، فَلِمَاذَا يَتْرُكُ الْإِنْسَانُ مَا أَمَرَ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ يَفْعَلُ مَا نَهَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ عَنْهُ، ثُمَّ يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ؟!

* **قُلْتُ:** أَوْضَحُ مِنْ هَذَا: لَوْ عُرِضَ عَلَىٰ إِنْسَانٍ وَظِيفَتَانِ رَاتِبُ إِحْدَاهُمَا أَلْفُ دِينَارٍ، وَرَاتِبُ الْأُخْرَىٰ فِلْسَانِ فِي الشَّهْرِ، أَفَتَرَاهُ يَخْتَارُ الثَّانِيَةَ مُحْتَجًّا بِالْقَدَرِ أَمْ يُسَارِعُ إِلَىٰ اخْتِيَارِ الْأُولَىٰ؟!

الَّذِي يَعْلَمُهُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنَّهُ سَيُسَارِعُ إِلَىٰ اخْتِيَارِ الْأُولَىٰ، وَيَقُولُ هُوَ قَدَرٌ، فَلِمَاذَا لَا يَسْلُكُ سَبِيلَ الْآخِرَةِ، وَطَرِيقَ الْبَاقِيَةِ، وَيَقُولُ إِنَّهُ قَدَرٌ؟!!

يَسْلُكُ الطَّرِيقَ الْمَشْؤُومَ الَّذِي لَا عَاقِبَةَ فِيهِ إِلَّا وَكُلُّهَا ضَرَرٌ، وَوَبَالٌ، ثُمَّ يَحْتَجُّ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَقْدُورِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: السَّابِعُ: أَنَّ الْمُحْتَجَّ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ مَا تَرَكَهُ مِنَ الْوَاجِبَاتِ أَوْ فَعَلَهُ مِنَ الْمَعَاصِي، لَوِ اعْتَدَىٰ عَلَيْهِ شَخْصٌ فَأَخَذَ مَالَهُ أَوِ انْتَهَكَ

حُرْمَتَهُ ثُمَّ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ، وَقَالَ: لَا تَلُمْنِي فَإِنَّ اعْتِدَائِي كَانَ بِقَدَرِ اللهِ، لَمْ يَقْبَلْ حُجَّتَهُ. فَكَيْفَ لَا يَقْبَلُ الِاحْتِجَاجَ بِالْقَدَرِ فِي اعْتِدَاءِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ، وَيَحْتَجُّ بِهِ لِنَفْسِهِ فِي اعْتِدَائِهِ عَلَىٰ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ؟!

* **قُلْتُ:** الَّذِي يَقُولُ إِنَّه يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ مِنَ الْمَعَاصِي، وَالْمُوبِقَاتِ، وَالْآثَامِ، وَالشُّرُورِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَفْعَلُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ طَائِلَةِ الْقَدَرِهَذَا جَبْرِيٌّ كَمَا تَرَىٰ.

وَقُلْنَا قَبْلُ: إِنْ أَيْسَرَ عِلَاجٍ لِأَهْلِ الطَّوَائِفِ الْمُنْحَرِفَةِ هُوَ عِلَاجُ الطَّائِفَةِ الْجَبْرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْجَبْرِ فَالَّذِي يَقُولُ لَكَ إِنَّهُ يَأْتِي مَا يَأْتِي، وَيَدَعُ مَا يَدَعُ، وَيَقُولُ مَا يَقُولُ مِمَّا لَا يَرْضِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَدَرٍ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ مَجْبُورٌ؛ لِأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ عَلَيْهِ مَقْدُورًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَلَّلَ مِنْهُ، وَلَا أَنْ يَخْلُصَ مِنْ تَحْتِ طَائِلَتِهِ.

مَنْ قَالَ لَكَ ذَلِكَ فَاصْفَعْهُ عَلَىٰ قَفَاهُ! فَإِذَا صَفَعْتَهُ عَلَىٰ قَفَاهُ فَرَضِيَ يَعْنِي قَالَ بَارَكَ اللهُ فِيكَ جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَزِدْهُ صَفْعًا حَتَّىٰ يَكُونَ مُتَّسِقًا مَعَ مُعْتَقَدِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنِ احْتَجَّ عَلَيْكَ تَنَاقَضَ يَعْنِي عِنْدَمَا تَصْفَعُهُ عَلَىٰ قَفَاهُ إِنِ احْتَجَّ عَلَيْكَ قُلْ لَهُ: قَدَرِي يَا أَخِي قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْكَ أَنَا مَجْبُورٌ عَلَىٰ فِعْلِي، قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَصْفَعَكَ عَلَىٰ قَفَاكَ، وَأَنْزِلَ عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهِ مِنَ الْبَلَاءِ مَا شِئْتَ.

إِذَا احْتَجَّ فَقُلْ لَهُ سُبْحَانَ اللهِ! تَنَاقَضْتَ، وَالْقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ -قِصَّةُ الْجَبْرِيِّ- مَعَ امْرَأَتِهِ عِنْدَمَا جَاءَ فَرَآهَا عَلَىٰ الْفَاحِشَةِ مَعَ رَجُلٍ فَغَضِبَ، وَسَلَّ سَيْفَهُ فَهَرَبَ

الرَّجُلُ، وَأَعْجَزَهُ هَرَبًا فَلَمَّا لَمْ يُدْرِكْهُ رَجَعَ إِلَىٰ الْمَرْأَةِ، وَالسَّيْفُ مَازَالَ فِي يَدِهِ مَسْلُولًا.

فَقَالَتْ: أَلَا تَرَىٰ أَنِّي فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ بِقَدَرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ، أَتَتْرُكُ السُّنَّةَ وَتَأْخُذُ بِمَذْهَبِ ابْنِ عَبَّاسٍ؟

فَأَغْمَدَ سَيْفَهُ، وَقَالَ: بَارَكَ اللهُ فِيكِ كِدْتُ أَضِلُّ!

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللهُ: وَيُذْكَرُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رُفِعَ إِلَيْهِ سَارِقٌ اسْتَحَقَّ الْقَطْعَ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّمَا سَرَقْتُ بِقَدَرِ اللهِ. فَقَالَ عُمَرُ: وَنَحْنُ إِنَّمَا نَقْطَعُ بِقَدَرِ اللهِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com

ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ

قَالَ الشَّيْخُ الشَّارِحُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِلْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الِاعْتِمَادُ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، عِنْدَ فِعْلِ الْأَسْبَابِ؛ بِحَيْثُ لَا يَعْتَمِدُ عَلَىٰ السَّبَبِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ لَا يُعْجَبَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ حُصُولِ مُرَادِهِ؛ لِأَنَّ حُصُولَهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، بِمَا قَدَّرَهُ مِنْ أَسْبَابِ الْخَيْرِ، وَالنَّجَاحِ، وَإِعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ يُنْسِيهِ شُكْرَ هَذِهِ النِّعْمَةِ.

الثَّالِثَةُ: الطُّمَأْنِينَةُ، وَالرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ بِمَا يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ أَقْدَارِ اللهِ تَعَالَىٰ فَلَا يَقْلَقُ بِفَوَاتِ مَحْبُوبٍ، أَوْ حُصُولِ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ كَائِنٌ لَا مَحَالَةَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

* **قُلْتُ**: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾: يَعْنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾: يَعْنِي لِكَيْ لَا تَحْزَنُوا حُزْنَ قُنُوطٍ؛ ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فَرَحَ بَطَرٍ، وَاخْتِيَالٍ بِمَا آتَاكُمْ.

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ مُتَكَبِّرٌ مُبَاهٍ بِمَا أُوتِيَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

* **قُلْتُ:** فَالْمُؤْمِنُ يَرَىٰ ذَلِكَ فِي كُلِّ حِينٍ وَحَالٍ، وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ فَيَبُوءُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ شَاكِرًا رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَإِذَا وَقَعَ فِي ذَنْبٍ اسْتَغْفَرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَلَمْ يَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ.

وَإِنَّمَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ لَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ.

أَمَّا عِنْدَ الذَّنْبِ، وَعِنْدَ الْمَعْصِيَةِ فَالِاسْتِغْفَارُ وَالتَّوْبَةُ وَالْخُشُوعُ وَالْإِنَابَةُ وَالْعَوْدَةُ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ، يَحْتَجُّ الْعَبْدُ بِالْقَدَرِ عِنْدَ وُقُوعِهِ فِي الْمَعَاصِي، هَذَا لَيْسَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَكِنْ يُذْكَرُ الْقَدَرُ عِنْدَ وُقُوعِ الْمُصِيبَةِ كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي (الزُّهْدِ، ١٣، رَقْمُ ٢٩٩٩)، مِنْ حَدِيثِ: صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

فَإِذا وقَعَ عَلَىٰ الْعَبْدِ مَا يَكْرَهُهُ مِنَ الْأَقْدَارِ غَيْرِ الْمُوَاتِيَةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَفْزَعُ إِلَىٰ رَبِّهِ حَامِدًا، وَشَاكِرًا، وَمُنِيبًا، وَمُخْبِتًا، وَخَاشِعًا، وَيَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُعَوِّضَهُ خَيْرًا فِيمَا أَصَابَهُ بِهِ، وَأَنْ يُثَبِّتَهُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ الْحَقِّ.

فَهَذَا هُوَ مُجْمَلُ الْإِيمَانِ بِالْقَدَرِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com